

آه ! صباح جديد يطلع على العالم ، ولكنه صباح بلا محمد . نار ثقيلة تشتعل في صدر الرجل وأحشائه . وتتقلص قسامته ، ويرتج بدنه . يدفن وجهه في راحتيه ، ويروح يبكي كالأطفال .

كما لم يزل ينطلق كل فجر ، منذ أربعين سنة ، ينطلق اليوم أيضاً صوت الشيخ حسن من مئذنة القربة الوحيدة واهناً متكسراً ، ولكن واضحاً وطيباً : الله أكبر . الله أكبر .

لم يتخلف أبو محمد عن صلاة الفجر في المسجد مرة واحدة منذ خمسة عشر عاماً ، أي منذ تزوج وأنجب محمداً . هل يتخلف عنها اليوم ؟
بوده لو راح . ولكن هل يستطيع أن يمشي ؟ إن قدميه لا تحملانه . لا يصلي إذن ؟ لا . فليصل هنا ، في مكانه ، على حصيرته .

يقف العبد بين يدي الرب . ينحني راعماً أمام عرشه . يجثو ساجداً عند قدميه . لسانه المر يسبح بحمده وعظمته . قلبه المحترق يعترف بربوبيته ورحمته . دموعه تسيل على خديه ، وتبلل الحصير تحت عينيه .

الشمس طلعت . الأشياء وضعت . استعادت حقيقتها . لم تزل الأشياء هي هي . البيوت فقيرة متساندة . الدروب ضيقة متعرجة . الأرض متربة غير مستوية . الدجاج ينبش الأرض بأظافره ، ويضربها بمناقيره . الوز في طريقه إلى الماء جماعات تتصايح وتهتز أردافها يمنة ويسرة . . الدواب تشير الأرض بجوافرها ، وتضرب جوانبها بذبولها . المصافير تسمع شقشقتها في كل مكان وهي تهبط ثم تفر صاعدة . النخل العالي تميز العين تمايله في صعوبة . . الحقول خضراء مترامية . السماء زرقاء نقية . الشمس متألقة حميدة . اللسيم جديد نشط . كل